



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 30-9-93
Photo No. : 135

”الحل الشامل” في حلّة جديدة

الآن فقط بدأنا نفهم ما عناه الرئيس حافظ الاسد عندما قال، في مقابلته الشهيرة مع باتريك سيل في الربيع الماضي، ان توقيع اي طرف عربي منخرط في المفاوضات الثنائية على اتفاق مع اسرائيل قبل غيره من الاطراف لا يعني سلاما منفردا. بدأنا نفهم ذلك بالتحديد بسبب تصرف الراعي الاميركي والطرف الاسرائيلي. فبعد ان امضى الطرفان الاميركي والاسرائيلي زهاء سنتين في لعبة تبديل الاولويات، موحيين تارة انهما يعطيان الافضية للجبهة السورية وطورا انهما يريدان التركيز على الجبهة الفلسطينية، وبعد ان تظاهرا في الايام التالية للاعلان عن اتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني باهمال سوريا، عاد واتضح ان ما تريده الولايات المتحدة للمنطقة، وما تبغيه اسرائيل لنفسها، انما هو حل شامل و”سلام” يعم الشرق الاوسط كله.

لا نعني بالطبع ان هذا الحل الشامل هو ”الحل الشامل العادل” نفسه الذي طالما نادى به العرب. ولعله حدث مع هذا المفهوم الامر عينه الذي حصل مع مفهوم ”المؤتمر الدولي”، الذي تحول من سلاح دبلوماسي في يد العرب في ظل التوازن الدولي القديم الى مجرد غطاء للوصاية الاميركية تحت راية النظام العالمي الجديد. وهكذا تحول الحل الشامل، بدوره، الى مجموع الحلول المنفردة المفترض عقدها بين اسرائيل والدول المتاخمة لها، بدل ان يكون حلا واحدا مبني على اساس واحد هو رفع اثار العدوان كما في التصور العربي القديم.

الا ان كون الحل الشامل في المفهوم الاميركي والاسرائيلي مبني على حلول جزئية لا ينفي شموليته. فتلك الشمولية باقية في رغبة الولايات المتحدة في طي صفحة الصراع العربي - الاسرائيلي في شكل يضمن المصالح الاميركية بالفاعلية نفسها التي ضمنتها الحرب. كما انه في صميم المراهنة الاسرائيلية على سلام يؤمن ديمومة ثمار الحروب الماضية بما اكدته من هيمنة اسرائيلية. وليس ادل على ذلك من البرنامج الاقتصادي "الشامل" الذي يسعى الاسرائيليون الى تسويقه، وتروّج له المؤسسات الدولية الخاضعة للارادة الاميركية.

ومؤدى الكلام ان اممال المسار السوري - الاسرائيلي ليس مطروحا بجدية إن في اسرائيل او في واشنطن وانذا كان بناء في مرحلة "هضم" اتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني ان هناك توجهها اميركيا واسرائيليا لعزل سوريا، فهذا على الأرجح من باب المناورة. ويتبين ذلك من خلال التصريحات الاميركية والاسرائيلية الاخيرة التي سعت هذا الاسبوع الى اعادة بعض الحيوية الى المسار السوري وتوأمه اللبناني.

اما هدف المناورة، فهو واضح: دفع سوريا الى ابداء المزيد من المرونة في الجولة المقبلة. والمرونة المطلوبة تصب تحديدا في خانة شمولية الحل من خلال ارساء قواعد التطبيع المرغوب به اسرائيليا واميركيا. فقد بات محسوما ان الاتفاق قائم بين الطرفين السوري والاسرائيلي على مبدأ جدولة الانسحاب من الجولان. كما يرجح ان مسألة السيادة السورية محسومة أيضا، وإن بشروط تخفيفية. ومن جهة اخرى صار معروفا ان القيادة العمالية في اسرائيل، وبشقيها، لا تعترض جوهريا على الوجود المميز لسوريا في لبنان. ويعني ذلك ان حجر العثرة المتبقي هو موضوع التطبيع، الذي لا تقبل به سوريا حتى الآن الا مجدولا كالانسحابات، فيما تريده اسرائيل فوريا، على الاقل في رمزه الاقوى، اي فتح سفارة اسرائيلية في دمشق بعد المعاهدة.

هنا بالذات المناورة. وهنا على الأرجح سرّ لعبة الوعد والوعد التي تلعبها الولايات المتحدة واسرائيل مع سوريا، من خلال الملف اللبناني.

سمير قصير